عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

السِّلْسِلَة الفكريَّة – الجزء التاسع

عذاب القبر بين الإثبات والنفي

و"التوفيقات الثلاثة"

يناير 2023

المحتويات:

المقدمة.....2
#1 الأدلة النافية 4
#2 الأدلة القرآنية غير الصريحة عند المُثبتين 7
#3 أيات "تتوفَّاهم".....10
#4 الأحاديث المُثبتة لعذاب القبر 16
#5 التوفيقات الثلاثة.....18
#6 مناقشة فكرة أن الإنسان يتكون من جسد وروح.....19
#7 الخاتمة 21

جميع الحقوق محفوظة

نسخة إلكترونية دون فواصل

Library: www.omr-mhmd.yolasite.com
omar.robb@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عذاب القبر بين الإثبات والنفي و"التوفيقات الثلاثة"

المقدمة:

هناك مجموعتان رئيسيتان فيما يتعلق بعذاب القبر: الأولى تفرض يقينا وجود عذاب القبر (وهؤلاء سنسميهم "المُثْبِتين") والثانية تفرض يقينا عدم وجود عذاب القبر (وهؤلاء سنسميهم "النَّافين").

والمشكلة هنا أن أدلة الطرفين ليست حاسمة بالمفهوم الجَمْعي:

فهناك أدلة واضحة من الأحاديث المتواترة والتي تُقر بوجود عذاب القبر، وهذا ما يعتمد عليه المُثبتون. وهناك أدلة واضحة في القرآن بعدم وجود عذاب القبر وهذا ما يعتمد عليه النَّافون. والأصل في البحث والتحليل أن يتم وضع الأدلة، ومن ثم يتم مناقشة جميع الأدلة المعارضة الرئيسية ذات العلاقة. ولكن ما يحدث بين المُثبتين والنافين هو ما أسميه هنا بـ "جدال التطنيش": فقد قام المثبتون بوضع أدلتهم دون التعرض بشكل كاف للأدلة المعارضة، وكذلك فعل النَّافون. وهذا بعيد جدا عن احترافية البحث والنقاش. وقد كان على المُثبتين أن يضعوا أدلتهم ثم يناقشوا الأدلة المعارضة، وإذا لم يستطيعوا تفنيدها فإن عليهم أن يعترفوا بذلك. وكذلك كان يجب على النَّافين فعل الأمر نفسه.

وحيث إنَّ أدلة المُثبتين والنافين صحيحة فلا بد من وجود توفيق بينهما، وهذا الذي يجب البحث فيه. وهذا ما سنعرضه هنا في هذه المقالة؛ إذ سنقوم هنا بعرض ثلاثة توفيقات ممكنة تجمع بين أدلة المُثبتين والنافين، وسنبدأ أولا بعرض التوفيق الأول، ثم سنستعرض الأدلة، ثم سنشرح التوفيقات الأخرى.

والتوفيق الأول هو التالي:

عذاب القبر حق ولكنه ليس قبل البعث وإنما هو بين البعث والنَّشور. والظاهر أن الجسد في يوم القيامة يتم تجميعه ووضعه في حفرة ضيقة ثم يتم نفخ الروح فيه. وحتى الشخص الذي حُرِقت جُثته ونُثر رماده في البحر فإن جسده سيتم تجميعه ذرة ذرة، ووضعه في حفرة ضيقة، ثم يتم نَفخ الروح فيه.

والوقت بين نفخة الروح (أي البعث) والخروج من القبر (أي النشور) هو ما يتم وصفه بعذاب القبر. ويكون الشخص الذي نُفخت فيه الروح وقت البعث في وعي تام وذاكرة كاملة وبَصَرٍ حديد. وإدراكه لوجوده في حفرة ضيقة يُؤدي إلى "ضمة القبر".

وفي هذا الموقف (موقف القبر) فإن التوتر والخوف والضيق عند الظالم المجرم سيكون أعلى بكثير من التوتر والخوف عند المؤمن الصالح. وفي الوقت نفسه فإن هذا الموقف للمؤمن الصالح هو "عذاب" مقارنة بما سَيناله من نعيم في الجنة، وأمَّا هذا الموقف بالنسبة للظالم المجرم هو "نعيم" مقارنة بما سَيَناله من عذاب في جهنم. والظاهر أن بعض المجرمين يَعلمون تماما مصيرهم وسيرفضون الخروج من القبر (مع الضيق الشديد فيه)، وهذا ربما يكون

تفسير الآية: وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93 الأنعام).

وهناك أربعة مواقف في الآية السابقة: غمرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم، وأخرجوا أنفسكم، واليوم تجزون عذاب الهون. ونستطيع القول إن الموقف الرابع هو في يوم القيامة، وبالتالي فإنَّ بسط اليد والطلب بإخراج النفس يكون كذلك في يوم القيامة. وبالتالي لا يوجد موقف أو زمن بين غمرات الموت ويوم القيامة؛ فالزمن بالنسبة للشخص بين موته وبعثه هو لحظة واحدة؛ وكأنه يُغمض عينيه في الموت وإذا به يفتحهما في البعث. وأفضل تشبيه لذلك هو الشخص الذي يقوم بعملية جراحية فإنه يتم تخديره تخديرا عميقا تاما، وهو فيها يُغمض عينيه فجأة ويستيقظ فجأة ولا يشعر بالوقت أبدا بين الفجأتين.

ويوجد للنفس معنيان رئيسيان في اللغة: ذات الشيء وحقيقته، والروح. وإذا رجعنا للآية السابقة فإنَّ هناك معنيين لـ "أخرجوا أنفسكم":

- أن تكون النفس هنا كناية عن الذات، وبالتالي يكون المقصود أن يَخْرُج الشخص بجسده من المكان، وبالتالي فالعبارة مجازية وفيها أمر بالخروج من المكان.
- أن تكون النفس كناية عن الروح، وبالتالي يكون فيها أمر بإخراج الروح من الجسد.

وإذا افترضنا أن الإنسان يتكون من جسد وروح (وهذا أمر سنناقشه لاحقا) فإن الإنسان في غمرة الموت لا يقوم هو بنفسه بإخراج روحه من جسده. وبالتالي نستطيع القول إنَّ عبارة "أخرجوا أنفسكم" لا يستقيم معناها مع "أخرجوا أرواحكم"، وبالتالي فإن غلبة الظن أن معناها "الأمر بالخروج من القبر". وهذا يتوافق مع التفسير المقترح المتعلق بأن المواقف الثلاثة (الملائكة باسطو أيديهم، وأخرجوا أنفسكم، واليوم تجزون عذاب الهون) تكون في يوم القيامة بعد البعث وقبل النشور. ويجب التنبيه هنا أنه يوجد في يوم القيامة عدة مواقف، ومنها: البعث والنشور والحساب.

وفي هذا التوفيق (الأول) فإن عذاب القبر يتعلق بالضيق والخوف والارتباك وشدة الندم. وهذا العذاب هو من النفس إلى النفس، ويحدث هذا العذاب بعد البعث وقبل النشور. وكما ذكرنا سابقا فإن الضيق والارتباك والخوف والندم عند الظالم المجرم سيكون أشد بكثير من عند الصالح المؤمن.

وهنا سنبدأ بمناقشة الأدلة ذات العلاقة وبالترتيب التالي:

- الأدلة النافية وهي الأدلة التي تنفي وجود عذاب القبر قبل البعث.
- الأدلة القرآنية غير الصريحة والتي يراها المُثبتون صريحة.
- الأدلة القرآنية المتعلقة بالتَّوفِّي.
- الأحاديث التي يعتمد عليها المُثبتون.

وبعد ذلك سنضع التوفيقات الثلاثة الممكنة والتي تسمح لنا بالتوفيق بين الأدلة المختلفة.
ثم بعد ذلك سندخل في صَّوابية القول إن الإنسان يتكون من جسد وروح.

#1 الأدلة النافية:

وهذه هي أدلة النَّافين، وهي موجودة في كثير من المواقع والكتب، ونستطيع استخدامها للدلالة أنه لا عذاب في القبر قبل البعث. ولكن يجب التنبيه أن هذه الأدلة ليست صريحة. والدليل الصريح هو الصريح في ألفاظه، وبالتالي يجب في الدليل الصريح أن يكون فيه لفظ مثل: لا يوجد عذاب في القبر قبل البعث، وهذا الدليل غير موجود في الآيات القرآنية. وإنما توجد غلبة الظن في الأدلة التالية وذلك لأن الاستنتاج فيها مباشر من النص.

1.1# وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42 إبراهيم).

ونستطيع القول وبغلبة ظن عالية أن اليوم الذي تشخص فيه الأبصار هو يوم القيامة، وبالتالي فإن التأخير يكون إلى يوم القيامة.

1.2# يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8 الزلزلة).

وضمن غلبة الظن فإنَّ رؤية الأعمال تكون في يوم القيامة (بعد البعث)، وبالتالي لا يكون قبل البعث أي رؤية للأعمال.

1.3# وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (14 التكوير).

والتفسير لهذه الآية مشابه لما في الباب 1.2#.

1.4# وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (15 المرسلات).

والتفسير لهذه الآية مشابه لما في الباب 1.2#.

1.5# فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15 الزمر).

والتفسير لهذه الآية مشابه لما في الباب 1.2#.

1.6# وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22 ق).

ترتيب الآية من سكرة الموت إلى نفخة الصور يضع دلالة جيدة أنه لا يوجد للميت موقف بينهما.

1.7# مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (54 يس).

لو أن المجرمين قد تعذبوا في قبورهم لما استغربوا ولا تساءلوا عمَّن بعثهم من مرقدهم.

1.8# قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12 السجدة).

ترتيب الآية من الموت إلى الرجوع إلى الله يضع دلالة جيدة أنه لا يوجد للميت موقف بينهما. ولكن توجد هنا ملاحظة: فالآية ذكرت الترتيب بـ "ثم إلى ربكم ترجعون"، وثم تعني الترتيب مع الوقت (أي هناك وقت بين الموقف الأول والموقف الثاني)، ولكن وجود الوقت بين الموقفين لا يعني وجود موقف وسط بينهما. وقد ذكرنا سابقا أن الوقت بالنسبة للشخص بين موته وبعثه هو لحظة واحدة، ولكن بالنسبة للأحياء فإن هناك وقت بينهما.

1.9# قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (11 غافر).

ويرى المُثبتون أن هذه الآية دليل على عذاب القبر، ولكننا سنبدأ المناقشة بالقول إنه ليس في الآية لفظ صريح يتعلق بعذاب القبر، وإنما تتوافق هذه الآية مع قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28 البقرة).

وبالتالي نستطيع وضع تفسير واحد لهما: وهو أن الإنسان لم يكن شيئا وأحياه الله، ثم يُميته (أي لا يعود شيئا) ثم يُحييه الله مرة أخرى.

وربما يُناقش المثبتون أن الآية الأولى فيها فِعْلٌ وهو "أمات"، وأن الإنسان قبل الحياة الأولى لم يكن حيا فأماته الله، وإنما كان لا شيء فأحياه الله. ولكننا نرى أن الفِعْل الأول "أمات" هو كناية على أنَّ الإنسان كان لا شيء، وهذا يتوافق مع تفسير آية البقرة ("وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ").

ولكن إذا أردنا أن نمشي مع المُثبتين في رأيهم فإن الأمر سيكون كالتالي:

- كان الإنسان لا شيء ثم أحياه الله.
- ثم أماته الله.
- ثم أحياه في قبره.
- ثم أماته قبل نفخة الصور (لأن الشخص قبل البعث يكون ميتا).
- ثم أحياه وقت البعث يوم القيامة.

وفي هذا الترتيب يوجد إماتتان وثلاث إحياءات، وهذا لا يستقيم مع الآية.

وبالطبع ربما يأتي رأي يقول إن الشخص لا يموت في الدنيا، وإنما يظهر أنه ميت، ولكنه يكون حيا في قبره، ويموت قبل نفخة الصور، ثم يحييه الله وقت البعث يوم القيامة. ولكن هذا يُخالف الكثير من الآيات المتعلقة بالموت.

1.10# لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56 الدخان).

وقد أوضح الطبري والقرطبي أنَّ "إلا" هنا تأتي بمعنى "بَعْدَ"، وبالتالي يكون معنى النص: لا يذوقون الموت في الجنة بعد الموتة الأولى. و"الأولى" هنا لا تعني بالضرورة وجود عدة موتات بعدها أو قبلها، وإنما "الأولى" هنا هي وصف. وشبيه في المعنى أن نقول: لا يذوقون فيها الموت بعد الموت السابق، والسابق هنا لا يعني بالضرورة أن هناك موتا قد سبق الموت السابق، وإنما "السابق" هنا هو وصف.

ونستطيع الاستنتاج هنا أنه لا يوجد موت إلا موتة واحدة (مع التنبيه أن الموت الأول في الباب السابق في آية غافر كان كناية أن الإنسان كان لا شيء وأحياه الله). وبالطبع فإن هذا النص هو على التعميم؛ وذلك لوجود أشخاص قد ذاقوا الموت أكثر من مرة ومنهم صاحب الدابة في قوله تعالى: "فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ" (259 البقرة)، وكذلك الذين أحياهم عيسى عليه السلام.

وإذا أخذنا الأمر على هذا التعميم فإنه لا يوجد موت إلا موتة واحدة ، وبالتالي لا يوجد عذاب في القبر قبل البعث؛ لأن عذاب القبر يتطلب جسدا واعيا مدركا للعذاب، وهذا يتطلب أن هذا الجسد سيموت قبل البعث لأن البعث يكون للموتى، وحيث إنه لا توجد إلا موتة واحدة فهذا يتطلب أن لا حياة ولا عذاب في القبر قبل البعث.

وربما يقول شخص: إنَّ المجرم يكون واعيا مدركا في قبره ويتعذب فيه روحا وجسدا قبل البعث ولكنه لا يكون حيا وإنما ميِّتا وأما الكيفية التي يُمكن فيها للميت أن يكون واعيا مدركا شاعرا بالعذاب فهي خارجة عن إدراكنا.
ولكن في هذا القول تناقض منطقي؛ فالوعي والإدراك والإحساس يتطلب الحياة.

1.11# فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20 الحاقة).

وقد نستطيع الاستنتاج من هذه الآية أن هذا المؤمن الذي نسمع فرحته هنا كان يظن أنه هالك، وبالتالي لم يكن في قبره أي إشارة توحي له أنه من أصحاب النعيم.

1.12# وهناك حديث رواه أحمد: عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنْ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ !! قَالَتْ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ (لَا ؛ وَعَمَّ ذَاكَ ؟!) قَالَتْ : هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ لَا نَصْنَعُ إِلَيْهَا مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا إِلَّا قَالَتْ وَقَاكِ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ !! قَالَ : (كَذَبَتْ يَهُودُ وَهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُذُبٌ لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) قَالَتْ : ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَاكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ (أَيُّهَا النَّاسُ أَظَلَّتْكُمْ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ).

والقول بأن عذاب القبر يكون بعد البعث وقبل النشور يضع توفيقا مريحا جدا لهذا الحديث، وعليه فقد كان الرسول مصيبا تماما في قوله: "لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، وكذلك كان مصيبا في قوله: "عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ" وهو العذاب الذي يأتي بعد البعث وقبل النشور.

ولكن يجب التنبيه أن هذا الحديث بهذا اللفظ هو غريب (أي وحيد السند).

2# الأدلة القرآنية غير الصريحة عند المُثبتين:

وهذه الأدلة التي يراها المُثبتون صريحة في أنَّ عذاب القبر حق قبل يوم القيامة، ولكنَّ هذه الآيات ليست صريحة:

2.1# فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46 غافر).

ويرى المُثبتون أن هذا النص هو دليل صريح على عذاب القبر قبل القيامة. وقد ذكر القرطبي والشوكاني في تفسيرهما عن الفرَّاء أنَّ في هذه الآية تقديم وتأخير. وحسب رأي الفرَّاء فإن معنى الآية يكون: وحاق بآل فرعون سوء العذاب، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. وبالتالي نستطيع القول إنَّ العذاب الأول هو المهانة والغرق، والعذاب الثاني يكون في يوم القيامة.

ويجب القول إن القرطبي والشوكاني لم يوافقا الفرَّاء في هذا الرأي، ولكن هذا الرأي يتوافق مع الأدلة النافية كما أنه يتوافق من حيث لغة العرب، وبالتالي تصبح له الإمكانية بما يكفي للقول إن هذا النص ليس صريحا بالنسبة لموضوع العذاب في القبر قبل البعث.

وأما سبب التقديم والتأخير فربما يكون لموسيقية العبارة؛ فهناك الكثير من التقديم والتأخير في القرآن والتي ربما تكون من أجل هذا السبب، ومنه مثلا قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2 الكهف). وفي هذه الآية تقديم وتأخير وأصل المعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، لينذر به بأسا شديدا من لدنه.

وبالنسبة لـ "غُدُوًّا وَعَشِيًّا" فهي كناية عن الاستمرارية، ومنها قوله تعالى: "لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا" (62 مريم)، وبكرة وعشيا هي كناية عن الاستمرارية. وهناك اختلاف في الكنايتين (بُكْرَةً وَعَشِيًّا – غُدُوًّا وَعَشِيًّا) والتخمين هنا أن القرآن قد فضَّل استخدام كناية مختلفة لأصحاب الجنة عن أصحاب النار.

2.2# وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (101 التوبة).

وليس في النص لفظ صريح بوجود العذاب في القبر؛ وذلك لأن العذابين قبل القيامة قد يكونان: غيظ المنافقين من المسلمين، والضيق الذي يأتي في صدورهم من قيامهم بالتظاهر بالإيمان مثل دفع الزكاة وإقامة الصلاة وصوم رمضان.

2.3# يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27 إبراهيم).

ولا يوجد في هذا النص لفظ صريح بوجود العذاب في القبر قبل البعث.

2.4# فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (46) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47 الطور).

ويستخدم المُثبتون هذا النص للدلالة على وجود العذاب في القبر قبل القيامة، ولكن لا يوجد في هذا النص أي لفظ صريح في هذا الموضوع. وأما "العذاب دون ذلك" فيمكن تفسيره بقوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30 الأنفال)، وقوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123 الأنعام). وهناك الكثير من المجرمين من يتعذب في الدنيا بأيديهم وأيدي أصحابهم وأيدي أعدائهم.

2.5# حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101 المؤمنون).

لا يوجد هنا لفظ صريح على وجود العذاب في القبر قبل البعث. وبالنسبة للآية فسنضع هنا تفسيرا متطرفًا في الخيال:

> سيصل العلم إلى القدرة لإرجاع الحياة إلى الحيوانات بعد موتها، وبالتالي فإن إرجاع الحياة للإنسان بعد موته سيكون ممكنا من الناحية النظرية، ولكن كل المحاولات في ذلك ستبوء بالفشل لوجود هذا "البرزخ". وبالطبع فإن هذه المحاولات في تحقيق هذا الأمر (والذي نعلم غيبًا استحالته) هو أمر غير منتقد؛ لأن هذه المحاولات (ضمن حدود أخلاقيات البحث) قد تكشف عن المزيد من أسرار الكون، وهذا هو الهدف الرئيسي في البحث العلمي وهو الكشف عن أسرار الكون، وأما الفائدة فتأتي لاحقا، عاجلا أو آجلا.

وما سبق هو رأي متطرف في الخيال، ولنتركه جانبا ولنرجع إلى الآية، ونقول هنا إنَّ هذه الآية ليست صريحة فيما يتعلق بوجود العذاب في القبر قبل البعث.

وبالنسبة لقول الشخص في الآية "قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ" فهي ليست بالضرورة بعد الموت وإنما ربما يقولها الشخص في الدنيا أثناء الاحتضار والموت.

2.6# وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170 آل عمران). وكذلك في قوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (154 البقرة).

وربما نستطيع التفسير هنا بالقول إنَّ الزمن بالنسبة للميت يتوقف، وبالتالي فإن الشهيد يقوم بإغماض عينيه لحظة وإذا به يفتحهما يوم القيامة، وربما يكون وقوفهم في القبر والنشور والحساب سريع مقارنة مع الآخرين. ولكن هذا التفسير غير مريح؛ فالنص فيه المفردات التالية: لا تحسبن، ولكن لا تشعرون، وَيَسْتَبْشِرُونَ. وهذا يتطلب أن النعيم الذي يُحيط بالشهيد يكون قبل وقت البعث.

وهنا سأعتبر أن هذا النص خاص بالشهداء فقط، وليس له علاقة بالقبر وذلك لقوله تعالى: أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ. وبالتالي سأقوم باعتبار موضوع الشهداء خارج إطار موضوع القبر.

ولكن الأمر يتطلب تفسيرا ممكنا قبل الخروج منه. وهنا نرى وجود احتمالين:

- الأول: أن الشهيد يموت، ويخلق الله له جسدا في الجنة مباشرة بعد الموت دون الدخول في مواقف الحساب، ويعيش الشهيد في الجنة إلى قبل نفخة الصور، وعندها يموت، ليبعثه الله مرة أخرى يوم القيامة، ويدخل مع الداخلين إلى مواقف الحساب.
- الثاني: أن الشهيد يموت ويبعثه الله مباشرة بعد الموت ويدخل في مواقف الحساب، ويدخل الجنة. وبالتالي فإن هؤلاء الشهداء لا يموتون بعدها، وبالتالي فهُمْ لا يموتون وقت نفخة الصور، ولا يُبعثون يوم القيامة لأنهم يكونون في الجنة ولا يموتون فيها.

ولا يوجد عندي ما يكفي لترجيح أحد الاحتمالين على الآخر.

ولكن ... قال تعالى: يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15 مريم).

ونحن نعلم من الأخبار المسيحية أن يحيى قد تم إعدامه على يد الملك هيرود أنتيباس (ابن هيرود الأول) وذلك لأن يحيى قد رفض التغاضي عن حكم الله في إحدى المسائل. وبالتالي نقول عن يحيى إنَّه شهيد، ونص الآية يُوحي أنه لم يكن ميتا وقت نزول الآية ولكنه سيموت بعدها، وهذا ربما يكون ترجيحا للاحتمال الأول.

ولكن ... من المكن تفسير الآية بشكل مختلف: عندما ننظر إلى الشعر الجاهلي فإن الشاعر يضع في شعره "النافذة" التي يريد توجيه الانتباه للمواقف عبرها، ثم يقوم الشاعر بوصف هذه المواقف بطريقة تجعل السامعين يتخيلون هذه المواقف وكأنهم أمام النافذة يرونها. ونظن هنا أن الآيات السابقة قد استخدمت هذا الأسلوب ذاته: فهذه الآيات قد وضعت لنا نافذة نرى من عبرها المواقف في وقت يحيى عندما كان صبيا (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) ثم شرحت الآيات بعضا من صفاته وبركة الله عليه (وحنانا من لدنا وكان تقيا) ثم جاءت آية السلام. وبالتالي

فإن الزمن في هذه الآية يتعلق بالوقت في هذه المواقف؛ أي أن العبارة "وسلام عليه يوم يموت" لا تتعلق بالزمن الذي نزلت فيه الآية، وإنما يتعلق بالزمن الذي أمره الله فيه أن "يأخذ الكتاب بقوة".

وتوجد نقطة ضعف في التفسير السابق وهو أنه يوجد في الآية "وكان تقيا" و"ولم يكن جبارا" وهذه أوصاف في الماضي وليست الحاضر. ولكننا نستطيع (وبدرجة تخمين مقبولة) القول إنَّ "آيات يحيى" لا تضع ترجيحا صريحا لأحد الاحتمالين السَّابقين.

3# أيات "تتوفَّاهم":

لقد وضعنا أيات "تتوفاهم" في باب منفصل لأنها جميعها تتطلب النقاش، والذي نظنه هنا أن معنى كلمة "تَوَفَّاه" تختلف من آية إلى أخرى.

وفي لسان العرب الشرح التالي:

- أوفى: أَتَمَّ. أوفى الكيل: أتم الكيل ولم ينقصه.
- والوَفِيُّ: الذي يُعطِي الحقَّ ويأْخذ الحقَّ.
- الموافاة: أَن تُوافيَ إنساناً في المِيعاد، وتَوافَينا في الميعاد، ووافَيْتُه فيه.
- وتوَفَّى المُدَّة: بلَغَها واسْتَكْمَلها.
- وأَوْفَيْتُ المكان: أَتيته.
- ووافَى فلان: أَتَى، ووافَيْتُ فلاناً بمكان كذا.
- وأَوْفَى الرجلَ حقَّه ووَفَّاه إِياه بمعنى: أَكْمَلَه له وأَعطاه وافياً.
- وتَوَفَّاه هو منه واسْتَوْفاه: لم يَدَعْ منه شيئاً. ويقال أَوْفَيْته حَقَّه ووَفَّيته أَجْره.
- أَوْفَيْتُه حَقَّه ووَفَّيْتُه حَقَّه ووافَيْته حَقَّه، كل ذلك بمعنى: أَتْمَمْتُ له حَقَّه
- والوَفاةُ: المَنِيَّةُ. والوفاةُ: الموت.

وبالتالي فإن التوفية لها عدة معاني: الإتمام، والإعطاء والأخذ بالحق، والإستكمال، والحضور (الإتيان)، والوصول إلى المكان، والوصول في الوقت.

وآيات "تتوفاهم" (وما كان على شاكلتها) كثيرة، وقد أخذنا آية واحدة من الآيات المتشابهة، وكانت الآيات كالتالي:

3.1# اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42 الزمر).

وهذه الآية تنتهي بـ "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"، ونحن نظن بوجود مطالبة هنا بالتفكير في هذه الآية. ونستطيع ترتيب وتفسير الآية كالتالي: الله يتوفَّى الأنفس حين موتها، ويتوفَّى الأنفس التي لم تمت في منامها. ويُمسك الأنفس التي قضى الله عليها الموت، ويُرسل الأنفس التي لم يقضي عليها الموت.

ولكن ... العبارة: "وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا" توحي بأن الموت يكون عموما في المنام، ولكن هذا ليس ما نراه في الواقع، فالموت في معظم الآحيان لا يكون في حالة النوم. فكيف التوفيق هنا؟

والتوفيق هنا سهل ... ففي غالب الأحيان فإن الشخص قبل الموت يدخل في الغيبوبة، وربما يستطيع المُسعفون إنقاذه وربما لا. وبالتالي فإن "المنام" هنا لا تعني بالضرورة النوم وإنما تعني كذلك حالات الإغماء والتي تحدث غالبا قبل الموت. وقلنا في غالب الأحيان لأنه في بعض الأحيان يكون الموت لحظيا؛ فانفجار القنبلة شديدة التأثير أمام الشخص يؤدي إلى الموت اللحظي.

الآن ... عندما نكون في حالة النوم العميق، فإن الله يتوفَّى الأنفس، فما المقصود هنا بكلمة "يتوفَّى"؟

وغالب الظن أن "يتوفَّى" تكون بمعنى "يأخذ ويسترد بالتمام دون نقصان". وبالتالي فإن الله يأخذ هذه الأنفس في المنام. ولكن ... ما هي الأنفس التي يتم أخذها وقت النوم العميق؟

لقد قيل أن الأنفس هي الأرواح، ولكن خروج الأرواح (بمفهوم الناس وتعريفهم) من الجسد هو الموت، والشخص في نومه العميق لا يكون ميتا. وإذا نظرنا إلى الشخص الواعي والشخص نصف النائم والشخص النائم تماما، فإن الفرق بينهم أن النائم تماما قد فقد احساسه بالواقع وهو كذلك لا يَحلم ولا يُفكر على الإطلاق.

وبالتالي نستطيع القول إن الأنفس هنا هي الوعي والإدراك والإحساس ومميزات الشخصية، وهذه الأمور التي يفقدها الشخص تماما في حالة النوم العميق، ثم يسترجعها وقت استيقاظه.

ولكن ... الوعي والإدراك والإحساس ومميزات الشخصية ليست أشياء يتم أخذها وإرجاعها، فهذه الأمور تَتَحدَّد بمجموعة من البرامج الموجودة في الدماغ. والذي يحدث أن هذه البرامج تتوقف عن العمل في حالة النوم العميق، ثم ترجع هذه البرامج إلى العمل وقت الاستيقاظ. وهذا يتطلب وجود آلية في الدماغ تقوم بإيقاف هذه البرامج وقت النوم ثم تُعيدها إلى العمل وقت الاستيقاظ. والظاهر أن الآية تتحدث عن هذه الآلية.

وانتبه أننا عندما نقول: لقد بنى الأمير قصرا على سفح الجبل، فنحن نعلم تماما أن الأمير لم يقم بأعمال الإنشاء والحدادة والنجارة، وإنما قامت هذه الأعمال بأمره. وكذلك في هذه الآية؛ إذ ليس من الضروري فيها أن الله يأخذ الأنفس بنفسه، وإنما يتم أخذ هذه الأنفس بأمره وتدبيره.

ولكن ... يُفهم من الآية أن الله يأخذ الأنفس في المنام، ولكن تفسيرنا هنا هو أن هذه الأنفس تتوقف عن العمل وقت المنام، فكيف يُمكن التوفيق بين الأمرين؟

والتخمين هنا أن كلمة "الأخذ" قد نستخدمها كناية عن التَّوقيف، فنقول مثلا "لقد أخذنا الصلاحيات منه" والأخذ هنا كناية أن صلاحياته قد توقفت بأمر منَّا، وبالتالي يمكننا استخدام "الأخذ" بهذا المعنى.

3.2# وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60 الأنعام).

"يتوفاكم" (في الأنعام) هي نفسها كما في الآية السابقة (42 الزمر). و"يبعثكم" هي كناية؛ فكما قلنا في الباب السابقة: فإن برامج الوعي والإدراك والإحساس تتوقف تماما عن العمل في حالة النوم العميق، ويُعاد تشغيلها عند الاستيقاظ وكأننا نقول (كناية) أن "الحياة" قد رجعت إليها.

3.3# وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62 الأنعام).

ومعها سندرس الآية: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11 السجدة).

"توفته رسلنا" تتوافق مع آية "قل يتوافكم ملك الموت". وهذا بحاجة لشرح:

يغلب على الظن وجود عدة مجموعات من الملائكة ضمن الترتيب التالي: ملائكة الحفظ (الحفظة)، وملائكة الموت، وملائكة النشور، وملائكة الحساب، وملائكة النار، وملائكة الجنة (مع وجود مجموعات أخرى كثيرة غير ذلك).

وقد ذكرنا في المقدمة عن ملائكة النشور في الآية: وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ (93 الأنعام). وبالتالي عندما نقول: إن الرسل تَوَفَّت الشخص ثم يرد هذا الشخص إلى الله؛ فنستطيع الاستنتاج أن هناك وقت بين الأمرين، وبالتالي فالأمر قبل البعث. وبالتالي فإن الآية "توفتهم رُسلنا" تتوافق مع آية "ملك الموت" السابقة. وبالتالي فإن هؤلاء الرسل يأتون إلى الشخص وقت موته في الدنيا.

ونستطيع الاستنتاج من آية "ملك الموت" أنه لا يوجد (بالضرورة) ملك واحد للموت وإنما هناك ملك للموت لكل شخص؛ بالضبط كوجود حفظة لكل شخص.

وقد نستطيع أن نفهم من الآية: "إذا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا" أن هؤلاء الرسل هم الذين يُسَبِّبون الموت. ولكننا نستطيع كذلك تفسير الآية بالقول إن الموت وتَوْفِية الرسل هما أمران مختلفان؛ أي أن ملك الموت ليس هو سبب الموت.

والذي أميل إليه هنا أن الموت لا يأتي بسبب ملاك الموت؛ وذلك من خلال المناقشة التالية:

قطع الرقبة يؤدي إلى الموت حتما، ولا يوجد أي ذِكْرٍ لشخص قد قُطعت رقبته وبقي حيا. وبالتالي فإن سبب الموت هنا هو قطع الرقبة. وربما يأتي تفسير أن ملك الموت يأتي لأخذ الروح، وبالتالي فإن قطع الرقبة يُسبب خروج الروح ويأتي ملك الموت لأخذها. وهذا الرأي يدل أن سبب الموت ليس ملاك الموت وإنما السبب هو قطع الرقبة، وجاء ملك الموت لأخذ الروح وليس لإخراجها.

ونستطيع هنا تقديم تفسير مختلف: لنفترض أننا صنعنا روبوت (رجل آلي) عالي التَّطور. ومن أجل ضمان الجودة واستمرارية التطوير فإن علينا أن نضع فيه نظاما يقوم بتسجيل كل الأمور التي تحدث مع الرُّوبوت. وكذلك فإن علينا أن نضع نظاما آخر يقوم بعمل باك-أب (نسخ احتياطي-Backup) لجميع الأنظمة والبيانات في الرُّوبوت

وبشكل دوري؛ وذلك احتياطا؛ فإذا تعطل الرُوبوت فإننا نستطيع صناعة روبوت آخر ثم نقوم بتحميل (Upload) هذه الأنظمة والبيانات، وعندها نسترجع الرُوبوت القديم كما كان.

وإذا أسقطنا ما سبق على الإنسان فسنجد عدة تشابهات: فأنظمة التسجيل في الرُوبوت هي نفسها أنظمة الحفظ التي تقوم بها "الحفظة" (ملائكة التسجيل)، ولكن هذا التسجيل ليس لضمان الجودة والتطوير وإنما من أجل يوم الحساب. والذي نَظنُّه هنا أن منظومة الباك–أب هي مطابقة لمهمة ملك الموت: فهو يقوم بعمل نسخة طبق الأصل عن "النفس" (والتي هي الوعي والإدراك والذاكرة وميزات الشخصية، إلخ). وهذه النفس هي برمجيات موجودة في الدماغ ويتم تطويرها عن طريق التربية والإرادة؛ فإذا كان للشخص إرادة الاتزام بالمبادئ فإن سلوكياته تختلف عن الشخص الذي عنده الإرادة لعدم الالتزام بهذه المبادئ. وعندما يتم تجميع الأجساد يوم القيامة ووضعها في القبور فإنه يتم تحميل (Upload) النفس في الجسد فيرجع الشخص كما كان متذكرا تماما حياته في الدنيا.

والذي نقترحه هنا أن الروح ليست شيئا هُلاميا ضبابيا هوائيا كما كان يتخليه الإغريق واليهود، وإنما الروح في الإنسان هو الوعي والإدراك والذاكرة ومميزات الشخصية (إلخ). وسنناقش هذا الموضوع لاحقا في الفصل السادس.

وإذا أخذنا هذا الاقتراح فإن نستطيع القول إنَّ تسمية "ملاك الموت" جاءت لأنه يأتي قبل الموت (أو بعد الموت) بلحظات لأخذ آخر نسخة طبق الأصل عن النفس.

3.4# وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (51 الأنفال).

عبارة "ذوقوا عذاب الحريق" توحي أن العذاب هنا في جهنم، ونستطيع الاستدلال (دون درجة اليقين) من الكثير من الآيات أن العذاب في جهنم يكون بعد الحساب. وهنا دعونا نتصور السيناريو التالي: حَكمت ملائكة الحساب على الظالم وأعطته كتابه في يساره. فما الذي سيحدث بعدها؟

المتوقع أن تأتي ملائكة النار وتأخذه وتلقيه في جهنم، وأثناء ذلك يضربونه باليمين واليسار. وهذا يتطابق تماما مع نص الآية. وبالتالي نستطيع القول إنَّ الملائكة هنا هم ملائكة النار، وأن "يتوفَّى" هنا تعني الإتيان والأخذ.

3.5# الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (32 النحل).

وهذه الآية مشابهة للآية السابقة إلا أنَّ الملائكة هنا هم ملائكة الجنة: فعندما تقوم ملائكة الحساب بإعطاء المؤمن الصالح كتابه بيمينه فنتوقع بعدها أن تأتي إليه ملائكة الجنة ويأخذونه هناك. وبالتالي يكون معنى "تَتَوَفَّاهُمُ" هي الإتيان والأخذ.

3.6# وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281 البقرة).

ويظهر من سياق الآية أن "تُوفَّى" تعني تُحاسب. ولكن لا ترى هذا المعنى في قواميس اللغة، وإنما الذي نراه هو أن "تُوفَّى" تأتي بمعنى الإعطاء والأخذ بالحق (أنظر قائمة المعاني في أول هذا الفصل). وهذا الذي يحدث في

وقت الحساب يوم القيامة: فسيتم أخذ سيئات المظلومين ووضعها على ظهور الظالمين، وسيتم أخذ حسنات الظالمين وتُعطى للمظلومين، وكل ذلك يكون بالحق، وبالتالي نستطيع القول إن معنى "تُوفَّى" هنا هو المحاسبة بالحق.

3.7# قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (32 النحل).

لقد شرحنا سابقا (في 2.4#) معنى "وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ" أنه يتوافق مع قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" (123 الأنعام).

ثم تبدأ الآية 27 بالقول "ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وبالتالي نستطيع الاستدلال أن ما سيأتي سيكون ضمن يوم القيامة. وغلبة الظن أن "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ" هم ملائكة الحساب، وبالتالي تأتي "تتوفاهم" بمعنى تُحاسبهم كما ذكرنا في الباب السابق (3.6#).

وقد شرحنا الآية 32 في 3.5#.

3.8# فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37 الأعراف).

يغلب على التخمين أن الملائكة في هذه الآية هم ملائكة النشور؛ وذلك لكلمة "جاءتهم": فملائكة النشور تأتي إلى الناس وتأخذهم وتَسوقهم إلى ملائكة الحساب. وبالتالي يكون معنى "يتوفَّونهم" هنا هو "الأخذ والإحضار". وهنا يجب الانتباه أن "جاءه وأتاه وتوفَّاه" هي ألفاظ مترادفة في عدة مواقف، وحيث إنَّ النص قد بدأ بـ "جاءهم" ثم أكمل بـ "توفَّاهم"، فهذا يدل أن معنى "توفَّاه" ليس لها علاقة بالإتيان (لأن الإتيان قد تم توضيحه بكلمة جاء)، وبالتالي فإن المعاني الممكنة لـ "توفَّاه" غير "أتى" هي "الأخذ" و"الوصول" إلى المكان الصحيح والوقت الصحيح، ومنه جاء استنتاجنا أن "توفَّاه" هنا تعني الأخذ والإحضار.

3.9# إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97 النساء).

والملائكة هنا ربما يكونون ملائكة النشور أو ملائكة الحساب، ولكن الميل هنا أكثر لملائكة النشور لأن هذه الآية قريبة من الآية السابقة في 3.8#.

3.10# هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67 غافر).

"ويُتَوفَّى" هنا تعني الموت.

3.11# وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15 النساء).

وقد يتم تفسير "يتوفاهن الموت" بالقول إنَّ فيها حذف وأن المعنى هو "يتوفاهن ملك الموت"، وبالتالي يكون معنى "يتوفاهن" هو يأتيهن ملك الموت ويأخذ أنفسهن. ولكنني أميل هنا إلى المعنى الظاهر وهو "يأتيهن الموت"، وهي كناية عن الموت نفسه.

3.12# وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60 الأنفال).

و"يوفَّ" هنا تعنى "يعاد لكم دون نقصان".

3.13# إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55 آل عمران).

توجد ثلاثة معان لـ "متوفيك ورافعك إلي":

- مُميتُك ورافعك إلي.
- مُنيمُك (من النوم أو الإغماء) ورافعك إلي.
- "أتيك وآخذك" ورافعك إلي. والرفع هنا (أي رافعك) يكون شرح وتوضيح للأخذ.

والثلاثة معان متساوية في درجة الاحتمالات، ولا يوجد ترجيح عندي لأحدها.

3.14# مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117 المائدة).

ويغلب على الظن أن "توفيتني" هنا تعني "أتيتني وأخذتني"، وبالتالي فإن هذا المعنى ليس له علاقة بكون عيسى حيا واعيا في السماء، أو حيا نائما في السماء، أو ميتا في السماء.

#4 الأحاديث المُثبتة لعذاب القبر:

نستطيع القول وبكل بثقة إنَّ الأحاديث المتعلقة بوجود عذاب القبر تصل إلى درجة التواتر. ولكن ليس من الضروري أن تكون الأحاديث التالية متواترة:

- الأحاديث المتعلقة بالعذاب في القبر لعدم التنزه من البول.
- الأحاديث التي تتعلق بسماع الرسول عليه السلام للمعذبين في القبر.
- الأحاديث التي تتعلق بسماع غير الثَّقلين للمعذبين في القبر.

وهذه المجموعات الثلاثة سنسميها هنا الأحاديث ألفا.

وبالتالي يوجد كم هائل من الأحاديث المتواترة التي تتعلق بالإستعاذة من عذاب القبر، ويوجد كذلك مجموعة من الأحاديث ألفا والتي لا نظنها متواترة.

وهنا يجب التفريق بين المتواتر والمشهور: فعندما يَروي أحد التابعين حديثا ويشتهر هذا الحديث وتتعد الرواة بعده فإن هذا الحديث لا يكون متواترا وإنما هو خبر آحاد مشهور، وأسميه هنا بـ حديث "وحيد الطرف" لأنه يبدأ بسلسلة واحدة عبر التابعي ثم تتعدد السلسلات من بعده. وأما الحديث المتواتر فإنه يتطلب أكثر من سبعة سلسلات من الرواة "الثقات" بحيث لا يكون في هذه السلسلات أي راو مشترك.

ونظن أن أدلة النفي تضع دلالة على عدم وجود العذاب في القبر قبل البعث، وأن عذاب القبر يكون بعد البعث وقبل النشور. ولكن هذا لا يكفي لرد "الأحاديث ألفا" وذلك لأن أدلة النفي ليست صريحة.

ولكن إذا استطعنا أن نجمع جميع "الأحاديث ألفا" واستطعنا الإثبات عن وجود مشكلة في السند في جميعها (مثلا يوجد راو هو أقل درجة من الثقة، أو أن أحد الرواة معروف بالإرسال والإدلاس) فعندها يُمكننا أن نرد الحديث لسببين: التعارض مع أدلة النفي ووجود المشكلة في السند (أي أن الرد يكون لسببين وليس لسبب واحد). وإذا استطعنا الإثبات بوجود أكثر من مشكلة واحدة في السند فإن هذا يضع راحة كبيرة في رد الحديث. ورد الحديث هو القول إن الرسول لم يقل هذا الحديث وإنما قد جاءنا بالخطأ من أحد الرواة.

وهنا يجب شرح موضوع الإرسال والإدلاس:

والإرسال هو قيام أحد الرواة بذكر الحديث دون أن يَذكر الراوي الذي سَمعه منه.

والإدلاس وهي كلمة خاطئة من حيث التركيب اللغوي ولكننا فضلناها على الكلمة الأصل وهي "التَّدليس" حيث إن كلمة "تدليس" قد توحي بالسوء، ولكن التدليس (في علم الحديث) لا يَجْرح الراوي. والإدلاس يتعلق بشكل رئيسي بطريقة الراوي في سرد الحديث، أو بشكل أوضح فإن الإدلاس يتعلق بمجموعة من الرواة الذين كانوا أساتذة ويستخدمون في تدريسهم الجمل الاعتراضية من أجل الشرح والتوضيح. ولشرح ذلك فإن وضع الجمل الاعتراضية طريقة طبيعية في سرد القصة: فعندما نسرد القصة فربما نقوم بالتوقف عن السرد لشرح نقطة محددة ثم نعود للقصة. وهذا الأمر طبيعي عند العرب، وقد وضع القرآن الكثير من الجمل الاعتراضية ومنها الآية: "قَالَتْ إِنَّ

الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ" (34 النمل)، والجملة "وكذلك يفعلون" هي جملة اعتراضية جاءت لتأكيد صحة قول بلقيس. وقد كانت للعرب الأقحاح القدرة على تمييز السرد عن الجمل الاعتراضية وذلك لأن أسلوب السرد يختلف عن الشرح. ولكن الناس في عهد التابعين وتابعي التابعين قد توقفوا عن إرسال أبنائهم إلى البادية لتعلم سليقة اللغة، وكذلك كان هناك الكثير من مسلمي بلاد الشام والذين لم تكن اللغة العربية عندهم اللغة الأم، وهنا فإن التلاميذ قد بدأوا (من دون قصد من الأستاذ) بالخلط بين السرد والشرح، ولم يتم الإنتباه لضرر هذا الأسلوب إلا متأخرا. وبالتالي فقد تم وصف الأساتذة الذين استخدموا هذا الأسلوب في التدريس بـ الإدلاس.

والإرسال والإدلاس لا يجرحان الراوي ولا يؤثران على درجة الثقة فيه، ولكن الإرسال والإدلاس قد يجرحان الرواية. وهناك الكثير من الرواة الثقات شديدي التقوى والذين تم وصفهم بالإرسال والإدلاس، ومنهم: حسن البصري والأعمش وإبراهيم التيمي وسفيان الثوري.

وكذلك فقد تم وصف أبي هريرة بالإرسال والإدلاس؛ فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (الكتاب الثامن، 53هـ) عن الإمام مسلم في سند إلى بشر بن سعيد أنه قال: "اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث". وكما ذكرنا فإن الإرسال والإدلاس لا يجرحان الراوي ولا يؤثران في ثقته، وإنما قد يجرحان الرواية.

وموضوع الروح والموت وعذاب القبر فيه شبهة من الإسرائيليات. وللتنبيه فإنه ليس من الضروري أن تكون هذه الإسرائيليات قد دخلت كتب الحديث بالنِّية السيئة؛ وإنما قد دخل الكثير من الإسرائيليات عن طريق الخطأ من خلال الإدلاس؛ فكثير من المسلمين كانوا مهتمين بمعرفة تاريخ بني إسرائيل، وهناك بعض الأحبار الذين أسلموا، وهؤلاء كانوا يُخبرون المسلمين بما يعرفونه من تاريخ بني إسرائيل. ولا يوجد في هذا أي مشكلة على الإطلاق، ولكن المشكلة كانت في أسلوب التدريس الذي تَعَوَّد عليه البعض والذي أدَّى (دون قصد أو نية سيئة) إلى ارتباك التلاميذ والخلط بين الرواية والشرح،، ومن هنا دخل الكثير من الإسرائيليات إلى كتب الحديث.

والظاهر أن موضوع الموت والروح وعذاب القبر كان موضوعا مهما عند اليهود في الجزيرة العربية، وبسبب النقاشات بين التابعين والأحبار الذين أسلموا فإننا يجب أن نتوقع دخول بعض الإسرائيليات في هذا الأمر. وبالتالي فهذا الأمر بحاجة إلى حيطة وجهد أكبر في التحقيق.

ولكن ما سبق لا يكفي لرد الأحاديث الصحيحة، وهنا كان قولنا أننا بحاجة إلى أكثر من سبب لرد الحديث. ويوجد سبب حاضر وهو ظاهر الخلاف بين الأدلة النافية و"الأحاديث ألفا"، وبالتالي فنحن بحاجة إلى سبب في أسانيد الأحاديث ألفا وذلك من أجل أن يكون هناك راحة في ردها.

ولم نقم بدراسة "الأحاديث ألفا" وذلك لشُهرتها؛ فهي ليست حديثا أو اثنين نستطيع بذل الطاقة لهما في دراستهما، وإنما هي مجموعة كبيرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وبالتالي فالأمر بحاجة للمتخصصين كي يجمعوا هذه الأحاديث ثم يُرتبوها ثم يتحققوا من كل راو فيها.

وحيث أننا لا نستطيع الحكم مسبقا فيما إذا كان يُمكن رد الأحاديث ألفا، فإننا سنستعرض هنا ثلاثة توفيقات ممكنة تتلائم مع الاستنتاج الذي يُمكن أن يخرج به المختصصون.

#5 التوفيقات الثلاثة:

#5.1 التوفيق الأول:

وقد ذكرنا هذا التوفيق في المقدمة. وفي هذا التوفيق فإننا نفترض أن المختصين قد استطاعوا الإثبات أن الأحاديث ألفا يمكن ردها لسببين أو أكثر: التعارض بينها وبين الأدلة النافية، ووجود المشكلة في السند.

ومن خلال الاعتماد على الأحاديث المتواترة التي تتحدث عن الاستعاذة من عذاب القبر، فإننا نستطيع التأكيد عندها أن عذاب القبر هنا يكون بعد البعث وقبل النشور، وهو عذاب من النفس إلى النفس (الخوف والندم والارتباك كما شرحنا في المقدمة)، ولا يوجد لملائكة البعث والنشور أي علاقة في هذا العذاب.

#5.2 التوفيق الثاني:

وهذا التوفيق يتم النظر فيه إذا ثبت للمختصين أن أحاديث تعذيب الملائكة لأهل القبور صحيحة ولا مشكلة في سندها، وعندها ربما نقول إنه من الممكن أن يكون هناك تعذيب في القبر (بين البعث والنشور) لبعض السلوكيات.

وبالتالي فإن هذا التوفيق يفترض أن الأحاديث المتعلقة بالعذاب قبل البعث، وبسماع غير الثَّقلَيْن لعذاب القبر يُمكن ردها بسبب المشكلة في السند.

#5.3 التوفيق الثالث:

وهذا التوفيق لا أميل له على الإطلاق ولكنه قد يكون مريحا للبعض. وهو القول إن عذاب القبر يكون بعد البعث وقبل النشور، ولكنَّ هذا العذاب "يخترق" جدار الزمن ويصل إلى أسماع غير الثَّقلَيْن.

وانتبه أنه يوجد قولان غير طبيعيين وغير منطقيين:

- القول إنَّ الإنسان يموت ثم يبعثه الله في قبره (أو إنَّه لا يموت في الدنيا وإنما يبقى حيا في قبره) وإنَّه يعي ما يدور حوله، ويسمع ويشعر ويتعذب، مع أن جسده قد هلك ونشف وتحلل.
- القول إن عذاب المجرمين يخترق "جدار الزمن" إلى الحاضر ويسمعه الأنبياء وغير الثَّقلَيْن.

وكلا القولين غير طبيعيين وغير منطقيين. ولكن إذا تم إجبارنا على اختيار أحدهما فالأولى هو القول الثاني لأنه يتوافق مع جميع الأدلة: الأدلة النافية والأحاديث المتواترة والأحاديث ألفا.

#5.4 وبالطبع فهناك رأي المُثبتين الذي يقول بوجود عذاب القبر قبل البعث، وهؤلاء مطالبون بالمناقشة والرد على جميع الأدلة النافية.

#6 مناقشة فكرة أن الإنسان يتكون من جسد وروح:

وهذا الفصل هو امتداد لما شرحناه في البابين #3.1 و#3.3. والفكرة التي تقول إنَّ الإنسان يتكون من جسد وروح هي فكرة إنسانية قديمة وظهرت في الهند وكذلك ظهرت عند الإغريق. والظاهر أن البشر في محاولة تفسيرهم للموت قد استنتجوا أن الفرق بين الميت والحي هو وجود شيء قد خرج من الحي، وقام الإغريق بتسمية هذا الشيء بـ Spirit والتي تعني النَّفَسَ (وهو الهواء في الشهيق والزفير). وأصبحت النظرة للروح أنها شيء هُلامي هَوائي خفي يَنمزج مع الجسد فتكون الحياة، وعندما يخرج هذا الشيء من الجسد فإن الحياة تنتهي.

وضمن علمي فإن الإسلام لم يقم بنفي أو تأكيد هذه الفكرة الإغريقية. وعندما سأل اليهودُ الرسول عن الروح فإن الجواب في القرآن كان: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (85 الإسراء). والظاهر أن الجواب كان خاصا للسائلين في ذلك الوقت (أي أن الجواب "ما أوتيتم من العلم إلا قليلا" هو خاص بأولئك الناس ذلك الوقت) وليس بالضرورة أن يكون لكل البشر في كل الأزمان، والنص هنا ليس حكما شرعيا وإنما هو جواب سؤال. وبالتالي فإن هذا النص لا يتعارض مع إمكانية أن تفهم البشرية (عندما يزيد علمها) حقيقة الروح.

وهناك فرق بين الروح وبين نفخة الروح، فنفخة الروح في آدم وعيسى لا تعني بالضرورة أن الإنسان يتكون من جسد وروح. ونستطيع هنا أن نضع تفسيرا لنفخة الروح: فهي النفخة في آدم كانت الآلية اللازمة لتحويل الطين إلى مواد عضوية وخلايا (إلخ). وكذلك فإن كل الأجهزة التي فيها برمجة فإنها بحاجة إلى "الحركة الأولى" كي تَتنظم وتَتزامن حركة الأجزاء فيها، وهذا كذلك إحدى الأعمال التي تقوم بها نفخة الروح، فلا بد من الحركة الأولى لكي تتزامن حركة الأجزاء في الجسم لإنتاج الحياة. وكل ما سبق لا يعني بالضرورة أن هناك شيئا هُلاميا خفيا ينمزج مع الجسد لإنتاج الحياة.

ونستطيع القول هنا إن الحياة في الإنسان تتكون من الجسد (المواد العضوية والخلايا) والأنظمة (البرمجيات) في هذا الجسد. وإذا تلف الجسد و/أو توقفت الأنظمة فيه فإن الحياة تنتهي لهذا الإنسان. وبالتالي نستطيع هنا الاقتراح أن الروح هي البرامج والأنظمة في الجسد، وهذه الروح ليست شيئا هُلاميا هَوائيا خَفيا، وإنما هي برمجة تتكون من سلسلة من التعليمات المكتوبة بلغة كيميائية على شاكلة "افعل كذا وإذا حدث كذا فافعل كذا". وتتميز البرمجة في الإنسان أن جزءا أساسيا فيها يتم برمجته من الإنسان نفسه (بإرادته وخبرته)، والإنسان قادر أن يُبرمج النفس باتجاه الحق والعدالة أو باتجاه الباطل والظلم.

وتوجد بعض النصوص التي يمكن أن تَتعارض مع هذا الاستنتاج:

قوله تعالى: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (87 الواقعة).

والنص هنا ليس صريحا أن هناك شيء يخرج من الإنسان وقت الموت، وإنما من الممكن جدا أن تكون هذه العبارة كناية عن الحياة التي تخرج من الإنسان درجة درجة. أي أن هذا الأمر هو كناية أن البرامج في الإنسان تتوقف عن العمل منظومة منظومة. وهذه العبارة تشبه قوله تعالى:"وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ" (10–الأحزاب)، ومن المستبعد تماما أن يقوم القلب وقت الخوف والجزع بالخروج من القفص الصدري والوصول إلى الحنجرة، وإنما هو تشبيه، وفي أحد تفسيرات القرطبي يقول إن هذا الوصف هو للمبالغة على مذهب العرب في إخفاء "الكاد". وبالتالي يكون تفسير الآية: كادت القلوب أن تبلغ الحناجر، وهي هنا كناية عن الخوف الشديد.

وكلمة "ترجعونها" لا تعني بالضرورة عن وجود شيء قد خرج من الإنسان، وإنما من الممكن جدا تفسيرها أن الله يتحدى الناس بإرجاع الحياة إلى الميت.

وكذلك وجدنا الحديثين التاليين في الكتب السبعة:

عن أم سلمة: دَخَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ علَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فأغْمَضَهُ، ثُمَّ قالَ: إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ ..." (رواه مسلم وابن ماجه وأحمد، واللفظ لمسلم).

وفي سلسلة الرواة:

- خالد بن مهران (المشهور بـ خالد الحَذَّاء):
  - أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه، ولا يحتج به.
  - إسماعيل بن علية : ضعف أمره.
  - ابن حجر العسقلاني : ثقة يرسل، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان، مرة: أحد الأثبات روى له الجماعة.
  - حماد بن زيد الجهضمي : قدم علينا قدمة من الشام فكأنا أنكرنا حفظه.
- عبد الله بن زيد (المشهور بـ إبي قلابة):
  - ابن حجر العسقلاني : ثقة فاضل كثير الإرسال، هرب من القضاء.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تَرَوا الإنسانَ إذا مات شخصَ بصرُه؟» قالوا: بلى، قال: فذلك حين يَتبع بصرُه نفْسَه (رواه مسلم).

وفي سلسلة الرواة:

- عبد الرزاق بن همام:
  - أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولايحتج به
  - أبو حاتم بن حبان البستي : ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر وكان ممن يخطىء إذا حدث من حفظه.
  - سفيان بن عيينة : أخاف أن يكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا.
  - حمد بن إسماعيل البخاري : ما حدَّث من كتابه فهو أصح.

- عبد الملك بن عبد العزيز (المشهر بـ إبن جريج):
  - أبو حاتم بن حبان البستي : وثقه، وقال يدلس.
  - ابن حجر العسقلاني : ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل.
  - الدارقطني : تجنب تدليسه، فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح.
- علاء بن عبد الرحمن بن يعقوب (المشهور بـ العلاء بن يعقوب):
  - أبو أحمد بن عدي الجرجاني : ما أرى به بأسا، ومرة: ليس بالقوي.
  - أبو حاتم الرازي : صالح أنكر من حديثه أشياء، روى عنه الثقات، ومرة: لا بأس به.
  - أبو زرعة الرازي : ليس هو بأقوى ما يكون، ومرة: لا بأس به.
  - ابن حجر العسقلاني : صدوق ربما وهم.

بالنسبة لرأي أبي حاتم في عبد الرزاق بن همام: يكتب حديثه ولايحتج به، فهذا ليس تجريحا في عبد الرزاق وإنما ربما ما يقصده أبو حاتم أن ذاكرة عبد الرزاق ليست بالقوية. ويجب التنبيه هنا أن الرواة السابقين قد تم مدحهم من الكثير من علماء الجرح والتعديل، ولكننا هنا قد وضعنا من كانت وجهة نظره انتقادية. وقد جمعنا المعلومات المتعلقة بالجرح والتعديل من المرجعين الرئيسيين التاليين:

- موسوعة الحديث – http://hadith.islam-db.com
- جامع الكتب التسعة – برنامج في الأندرويد – https://www.arabia-it.com

#7 الخاتمة:

ما نميل إليه هنا هو التوفيق الأول وهو ميل دون درجة اليقين؛ منتظرين قيام المختصين بجمع "الأحاديث ألفا" وترتيبها وتخريجها وتحديد الجرح والتعديل لكل الرواة في هذه الأحاديث.

مؤلفات سابقة للمؤلف

النهضة والذكاء الجماعي: أفكار منهجية في البحث والتحليل والإدارة تتعلق بالصفات الأساسية لنهضة الأمم (2012) مصر: مكتبة الآداب.

الأسرار في الإبداع: الإبداع والعبقرية ليستا بحاجة إلى ذكاء خارق، وإنَّما بحاجة فقط إلى صبرٍ في التَّفكير (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

الجن ... ما نتوهمه لهم وما يمكن استنتاجه عنهم: نظرة منهجية تهدف لوضع موضوع الجن على قاطرة البحث العلمي (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

العبرة الكبرى: النقمة التي تحل على أي شعب (أو أُمَّةٍ بِمَنْ فيهم العرب والمسلمين) يَرَوْنَ أنفسهم أنهم أفضل الشعوب وأذكى الشعوب وأشرف الشعوب وأَنَّ الكون كله يدور حولهم وأنه يحق لهم ما لا يحق لغيرهم (2012)، مصر: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

السلسلة الفكرية:

أصل الإنسان (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الأول.

ذو القرنين وأهل الكهف (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الثاني.

الهلال بين الرؤية والحساب (2017) السلسلة الفكرية – الجزء الثالث.

الفلسفة الألفية ومنهج المقاربة (2018) السلسلة الفكرية – الجزء الرابع.

تحليل الأدلة والقرائن (2019) السلسلة الفكرية – الجزء الخامس.

المسائل في شبهات المستشرقين (2019) السلسلة الفكرية – الجزء السادس

الفيزياء الكمية ووجود الخالق (2021) السلسلة الفكرية – الجزء السابع.

مناقشة في علم التطور وأصل الإنسان (2021) السلسلة الفكرية – الجزء الثامن.

ملاحظة: بعض الكتب السابقة يمكن تنزيلها بصيغة الـ pdf من العنوان التالي:
omr-mhmd.yolasite.com